

يونا ليس في مصر

كاتب هذا المقال المرحوم الدكتور وهيب كامل ، وقد سلمه للمجلة قبل وفاته بأسبوعين في يناير سنة ١٩٥٧ . والدكتور وهيب كامل معروف لقراء هذه المجلة . وقد كان لموته المفاجئ رقة أسف شديد في الأوساط العلمية .

تخرج الفقيه في كلية الآداب بجامعة القاهرة عام ١٩٣٩ ، من قسم الدراسات انقديمة وحصل منه على درجات الماجستير عام ١٩٤٢ ؛ ثم حصل من جامعة لندن على درجة الدكتوراه ببحث عنوانه *The Sources of Plantine Comedy* .

ونشر الفقيه كتباً وأبحاثاً عديدة منها - باللغة العربية - هيرودوت في مصر (دار المعارف ١٩٤٦) ، وديودور الصقلي في مصر (دار المعارف ١٩٤٧) ، واسترابون في مصر (مكتبة الأنجلو ١٩٥٣) ، وأميانوس ماركليينوس في مصر (مكتبة الأنجلو ١٩٥٥) . كما نشر أبحاثاً ومقالات عديدة باللغة العربية والإنجليزية ، ظهر الكثير منها بمجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة .

والمجلة إذ تنشر لقراءها هذا البحث ، تحيي ذكرى مؤلفه الفقيه الكريم وتسال الله له خير الجزاء بقدر ما قدم للعلم والمتعلمين .

كان يونا ليس أقذع شعراء الهجاء عند الرومان ولعله أبرز شاعر هجائي في العالمين القديم والحديث جميعاً . أخرج في القرن الثاني للميلاد ست عشرة قصيدة هجائية . أصدرها في خمس مجموعات على فترات متقاربة . ولا نعرف من سيرته إلا النار اليسير نستنبطه من أبيات شعره التي تعمد فيها أن يخفي ملامح شخصيته وراء ما يعالج من موضوعات . ولعل استخفاءه هذا كان نتيجة للخوف مما يتصدى له الهجاءون عادة من بطش الأباطرة . أو لعله كان زهداً في التحدث عن نفسه الحزينة وظروفه القاسية ، أو لعله كان ، موضوعياً ، يوثر إبراز الموضوع الذي يتناوله ويفرض على ذات نفسه أن تتوارى فلا تلوح من خلال ما يصور من مخازي المجتمع الذي يهجو .

وتضم المجموعة الأولى القصائد من ١ - ٥ . وقد وردت في القصيدة

الأولى إشارة إلى نفي ماريوس پريسكوس^(١) . الذى لم تنته محاكمته إلا سنة ١٠٠ ب . م . فلا بد أن تكون هذه المجموعة قد صدرت بعد هذا التاريخ . وثمة إشارة أخرى ، وردت فى القصيدة الثانية ، إلى حملات الإمبراطور أوتولى أنها « تستحق أن تسجل فى الحوليات الجديدة والتاريخ الحديث^(٢) » وقد وصف المؤرخ تاكيتوس هذه الحملات فى « تاريخه » الذى صدر فيما بين ١٠٤ و ١٠٩ ولعله أشار إليها أيضاً فى حولياته وقد كان متوفراً على إصدارها حوالى ١٠٩ . فالأرجح أن تكون هذه المجموعة قد صدرت حوالى سنة ١١٠ .

والمجموعة الثانية قاصرة على القصيدة السادسة وهى كبرى قصائده . وفيها إشارة إلى زلزال فى الشرق^(٣) ؛ فقد حدث زلزال فى أنطاكية فى ديسمبر سنة ١١٥ . ولا بد أنه كان مادة للحديث فى روما فى السنة التالية . فالأرجح أن يكون هذا الكتاب قد صدر سنة ١١٦ .

وتضم المجموعة الثالثة القصائد ٧ - ٩ . وقد أعلن الشاعر فى أولها « أن الأمل فى الأدب والدراسات الأدبية يتوقف على قبصر لأنه » وحده يحترم ربات الفنون وهن فى هذا العصر خزينات^(٤) . وهى تحية لعل الشاعر قد استقبل بها عهداً جديداً لإمبراطور جديد يرعى الفنون ويعين الفنانين . وأحرى بهذا الإمبراطور الجديد أن يكون أدريانوس وقد دخل روما سنة ١١٨ . وتضم المجموعة الرابعة القصائد ١٠ - ١٢ وليس فيه من الإشارات ما يعين على جلاء سيرة الشاعر .

وتضم المجموعة الخامسة القصائد ١٣ - ١٦ . وقد كتبت القصيدة ١٣

(١) « إن ماريوس فى منفاه يجرع الحمر من الساعة الثانية بعد الظهر ، ويرتع فى غضب السماء ، أما أنت أيها الولاية فقد كسبت القضية ولكنك تبيكين » . وقد طالبت ولاية أفريقية بمحاكمة ماريوس پريسكوس فأدين بتهمة الرشوة وسوء الإدارة ونفى . وقد ورد وصف المحاكمة فى رسائل بلينيوس (المجموعة الثانية ، الرسالة ١١ ، ١٢)

(٢) ٢ - ١٠٢ - ٣ .

(٣) « إن المدن تهتز ، والأرض تغوص » . راجع فى تاريخ الزلزال « حرب ترايانوس البارثية » تأليف ف . أ . لير . اكسفورد ١٩٤٨ ص ٩٥ وما بعدها .

(٤) ٧ - ١ - ٣ .

في سنة ١٢٧ . ذلك أن الشاعر يواسي فيها بعض أصدقائه وقد وقع فريسة للاحتيال فيخطبه بقوله :

« وهل تعجب أنت مما حدث وقد جاوزت الستين إذ ولدت في عهد قنصلية فونتيوس^(١) » وقد كان فونتيوس قنصلاً سنة ٦٧ . ثم إن الشاعر يصف في قصيدته ١٥ حادثة وقعت في مصر فيقول « وقعت حديثاً في عهد قنصلية يونكوس^(٢) » وقد كان يونكوس قنصلاً سنة ١٢٧ . ثم أن الشاعر في قصيدته ١٤ ينعي على الرومان تهودهم وتختهم^(٣) . وقد قام اليهود سنة ١٣١ بثورة عارمة من أسبابها أن الإمبراطور أدريانوس قد أصدر أمره بمنع الختان . فلا بد أن تكون القصيدة قد كتبت قبل صدور هذا الأمر الإمبراطوري الذي جعل التخت عملاً غير مشروع . وإذن فقد صدرت المجموعة الخامسة فيما بين ١٢٧ . ١٣١ .

وإذن فقد كان نشاطه الأدبي واقعاً في عهده الإمبراطورين ترايانوس (٩٨ - ١١٧) وهادرينوس (١١٧ - ١٣٨) ولغله لم يمتد إلى آخر حكم هادرينوس .

وفي شعره إشارات طفيفة أخرى إلى حياته . فهو يتحدث في قصيدته ١١ عن نفسه باعتباره رجلاً مسناً^(٤) ، وقد صدرت هذه القصيدة ضمن المجموعة التي نشرت فيما بين ١١٨ . ١٣٠ فأحرى بنا أن نضع ميلاده بين سنة ٦٠ ، ٧٠ ميلادية

وهو يتحدث عن مضر في قصيدته ١٥ ويقول « كما لاحظت بنفسى^(٥) وهي إشارة إلى زيارته لمصر وإقامته بين أهلها^(٦) .

(٢) ٢٧٠ ، ١٥

(١) ١٣ ، ١٦ ، ١٧

(٤) ٢٠٣ ، ١١

(٣) ١٠٦ - ٩٦ ، ١٤

(٥) ٤٥ ، ١٥

(٦) راجع J.Wright Duff في A Literary History of Rome in the Silver Age

الطبعة الثالثة سنة ١٩٣٥ ص ٦٠٢ هامش ٢١١ حيث يقرر أن قوله « كما لاحظت بنفسى » ليس دليلاً ملزماً على زيارته لمصر .

وإننا لنعلم أن يونانيس كان مقبياً في روما حوالي سنة ٩١ ، ٩٢ لأن صديقه الشاعر مارشالييس قد كتب إليه في ذلك الحين رسالتين (١) . وهناك سيرة قديمة تعزى أحياناً إلى المؤرخ سيوتونيوس ولكنها على التحقيق متأخرة عنه (٢) ، وهي تقول (٣) «يونانيس يونانيس : ليس من المحقق إن كان ابن أو ربيب عتيق ثرى . مارس الخطابة إلى منتصف عمره تقريباً إرضاء لنزعه لا استعداداً لتعاطي الفلسفة أو المحاماة . وبعد أن كتب قصيدة هجائية من أبيات قليلة وإن كانت مرضية ضد الممثل باريس وضد شاعر آخر ازدهاه أنه حظى بوظيفة حربية لمدة ستة أشهر فحسب . توفر في إمعان على كتابة هذا الضرب من الشعر . ومع أنه ظل مدة طويلة لا يجرؤ على إلقاء شعره حتى في المحافل الصغيرة . فإنه سرعان ما سُمع في المحافل الغاصة بنجاح عظيم مثني وثلاث . حتى أنه كان يضيف أبيات جديدة إلى القصائد التي كان قد صاغها من قبل .

« إن ما لا يمنحه العظماء سوف يمنحه ممثل . فلماذا تزور دور النبلاء العظيمة من الكاميرين والبارين ؟ إن بيلوپيا هي التي تعين القادة وفيلوميليا هي التي تعين الطرابنة » .

وكان المثل محل رضا في هذا الحين في البلاط وكان يرقى يوماً الكثيرين ممن يتملقونه ، ومن ثم فقد اتهم يونانيس بأنه كان يشير تلميحاً إلى هذا الذي يجرى في البلاط . وبالرغم من أنه كان في الثمانين من عمره يومئذ فقد نفي عن المدينة في وظيفة حربية وأرسل قائداً إكثبية في طريقها إلى أقصى حدود مصر . ولقد اختير له هذا الضرب من العقوبة لأنه يناسب ما اقترف من جرم حين عابث . والحق أنه مات بعد وقت قصير جداً من الحزن والمضض .

(١) مارشالييس ، ٧ ، ٢٤ ، ٧ ، ٩١ .

(٢) كتب سيوتونيوس كتابه سنة ١١٤ وقد عاش يونانيس إلى ما بعد ١٢٧ فلا بد أن تكون سيرته هذه بقلم متأخر عن سيوتونيوس .

(٣) راجع نص هذه السيرة في "Thirteen Satires of Juvenal" J. E. B. Mayer سنة ١٨٧٨ الجزء الثاني المقلمة صفحة ١١ وفي كتاب "Juvenal and Persius" G.G. Ramsay سنة ١٩٤٠ . المقدمة صفحة ١٧ .

وهناك ثمان سير وشروح أخرى كلها. أحدث من هذه السيرة عهداً ،
وهي تتضارب تضارباً يحملنا على الأخذ بها بحذر شديد . فمنها ما يذهب إلى
أن نفيه كان إلى بريطانيا *contra Scotos* وهي متأثرة ولا شك بدقة وصفه
لبعض أرجاء الجزائر البريطانية^(١) . ومنها ما تذهب إلى أن نفيه كان في
عهد الإمبراطور نيرون^(٢) (٥٤ - ٦٨) وهو خطأ ظاهر لأن يونانيس
كان لا يزال في قيد الحياة سنة ١٢٧ . ومصدر هذا الخطأ أنه كان هناك
ممثلان يسميان باريس ، وقد خلط الشراح بينهما أما أحدهما فقد قتل في عهد
نيرون وأما الآخر فقد لاقى المصير نفسه في عهد الإمبراطور دوميتيانوس
(٨١ - ٩٦) ، فكان الأولى بالشرح أن يصرخوا الكلام الوارد في القصيدة
النسابة إلى ثانيهما دون الأول . ومع ذلك فالظاهر أن دوميتيانوس - على
شدة مقت الشاعر له^(٣) - لم يكن مسئولاً عن نفيه ، لأن مارشاليس كان
يراسل يونانيس في روما سنة ٩١ أو حولها ، ولم يكن مارشاليس من استقلال
الرأى وقوة الشخصية بحيث يراسل صديقاً وقع تحت طائلة سخط الإمبراطور
هنا ولم تقل « السيرة » إن الممثل المهجو كان محل رضا البلاط ، بل قالت
إن ممثلاً كان في ذلك الحين أثيراً لدى البلاط . وكان الممثل باريس قد أتهم
في علاقته بزوجة الإمبراطور دوميتيانوس فاغتاله سنة ٨٣ . وليس من
الجائز أن الشاعر نفي في ذلك العهد البعيد . ومن هنا ذهب رامساي Ramsay
إلى أن كل المحاولات التي تهدف إلى وضع نفي الشاعر في عهد الإمبراطور
دوميتيانوس قد باءت بالفشل^(٤) وأن الأرجح أنه حدث في عهد الإمبراطور

(١) راجع Duff « المصدر نفسه » صفحة ٦٠٠

(٢) راجع الشرح على البيت ٩٢ من القصيدة السابعة . *Propter hunc versum*

missus est in exilio a Claudio Nerone.

(٣) إن كره يونانيس للإمبراطور دوميتيانوس مستفيض . انظر ٢ ، ٢٩ - ٣٣ ،

و ٤ ، ٣٧ - ٣٨ ؛ ٦٩ - ٧١ ؛ ٧٢ - ١٠٣ ؛ ١٥٠ - ١٥٤ .

(٤) المصدر نفسه . المقدمة صفحة ١٩ .

أندريانوس لأنه كان من رعاة الممثلين والفنانين من جميع الأنواع وأنه كان قميناً أن يثور لإهانة يتوهمها موجهة ضد أحد أخصائه^(١)

ويرى هايت^(٢) أنه بالرغم من أن الممثل باريس قد اغتيل سنة ٨٣ فن الممكن أن يكون يونانيس قد كتب سنة ٩٢ هجاء لأحد أحلاس البلاط ممن يتمتعون بنفوذ فيه أقوى من نفوذ النبلاء وخصوصاً فيما يتعلق بالترقيات العسكرية ، فرأى فيه الإمبراطور عيباً في ذاته الإمبراطورية وتعريضاً بنزاهة الحكم فنفاه.. والحق أن هذا التفسير لا يعدو أن يكون فرضاً لا يعززه إلا أن الشاعر كان شديد المقت للدوميتيانوس وإلى أنه جاء مصر .

فلو صح أن الشاعر قد نفي لسبب أو لآخر حول هذا التاريخ فأين كان منفاه ؟ إن كتاب السير والشراح يختلفون في هذا كل الاختلاف فمنهم من يزعم أنه نفي في ليبيا^(٣) ومنهم من يزعم أنه نفي في «واحة» وهم يعنون الواحة الخارجة^(٤) . ولكن منشأ القول بنفي الشاعر هو السيرة التي نقلناها . فأولى بنا أن نتبعها وهي تقول إنه نفي إلى «أقصى حدود مصر» وهي تعنى على الأغلب أسوان وقد كانت مركز ثلاث كتائب رومانية في ذلك العهد^(٥)

(١) المصدر نفسه المقدمة صفحة ٢١

(٢) Juvenal The Sstirist: G. Highet اكسفورد سنة ١٩٥٤ صفحة ٢٥

(٣) راجع chronographia. Joannes Malalas ١٠ ، ٣٤١ ، وقد ورد النص في Mayor . المصدر نفسه صفحة ١٢ ، وفي Highet المصدر نفسه صفحة ٢٣٩ . ويلاحظ . أن هذه المنطقة كانت إلى عهد الإمبراطور دقلديانوس تابعة لولاية كويت وقورينة . فلم تكن إذن في مصر .

(٤) راجع الشارح على البيت الأول من القصيدة الأولى حيث يقول :

hos autem libros in exilium missus ad civitatem ultimam Aegypti
Hossim ab ipso Domitiano scripsit

وراجع الشارح أيضاً على البيت ٣٨ من القصيدة الرابعة حيث يقول :

propterea quod Juvenalis sub specie bonoris relegtus est ad cohortis
curam in Aegypto Hoesa, ubi mortuus est.

(٥) راجع L'Arnèe romaini d'Égypte J. Lesquier سنة ١٩١٨ صفحات

ويعزز هذا الرأي ما يبيده يونانيس من معرفة بأسوان باعتبارها سوق للعاج فهو يقول « أما اليوم فلا يجد الأغنياء لذة في مأكلهم ، ولا نكهة لسمك موسى Rhombus ولا لدمًا damma وتبلسو العصور والرياحين كأنها عطنة إن لم تكن ألواح المائدة عريضة قائمة على فهد ضخمة فاغرفاه من العاج الصب المتخذ من السن الذي ترسله إلينا أسوان » . (١)

ولعله رأى وهو في أسوان بعض أهل مروى فهو يصف نساءهم وصفاً كأنه صادر عن شاهد عيان : « من يعجب لخلق وارم في جبال الألب أولثدى امرأة من أهل مروى أضخم من طفلها السمين ؟ » (٢) .

والحق أن يونانيس كان مشغول الخاطر بمصر وأهلها وآثارها وديانها منذ بدأ ينشر شعره ، وهو دائم الإشارة إليها من قريب أو بعيد لا تغيب عن ذهنه قط . فهو إن نعى قلة الأتقياء قال « إن الأتقياء قليل ، لا يكاد عددهم يبلغ عدد أبواب طيبة أو مصبات النيل الثرى (٣) » وإن عاب على الإمبراطور أوتو ولعه بمظهره قال « إن الإمبراطور أوتو يضل في مرآته قبيل المواقع وهو شىء لم تأت سميراميس وهي تحمل جعبتها في مملكتها ، الأشورية ولا كليوباترة التعسة على ظهر سفينتها في أكتيوم » . (٤) وإن أراد أن يقول إن الرجل بأعماله لا يحبه قال « أسلم يا جايبوليكوس أو أنت ياسيلانوس مهما يكن منبتك فإن أنت أثبت لوطنك أنك مواطن نادر ممتاز سيفخر بك وسيردد الجميع ما يردده الشعب كله عندما يجردون أوزيريس » (٥) .

(١) راجع القصيدة ١١ ، ١٢٠ ، ١٢٤ -

(٢) « » ١٣ ، ١٦٢ - ١٦٣

(٣) « » ١٣ ، ٢٦ ، ٢٧

(٤) « » ٢ ، ١٠٨ ، ١٠٩

(٥) « » ٨ ، ٢٦ - ٣٠ . لقد تواترت الأقوال عند المؤرخين القدماء بتهليل

المصريين عند ما يجردون عجل أبيس إذ كانوا يعتقدون إنه تجسد لأوزيريس .

راجع مينو كيو فيليكس ٢٢ *mox ir.u.nts parvulo gaudet Isis, sacrdotes. exultant*

وانظر ترتوليانوس « ضد ماركيو » ١ ، ١٣ *Osiris . . . quaesitur et cam*

gaudio invenitur

هذه إشارات بريئة . ولكن شعر يونانيس يفيض بأبيات تتم عن كرهه لمصر وأهلها وديانتها وتغلغل هذه الديانة في روما بل إن حقه على أحد المصريين كان من الأسباب التي دفعته إلى كتابة الهجاء . فهو يقول في مستهل هجائياته :

« إذا ما بنى الخصى الرقيق بزوجة ، وإذا ما كشفت ميوبا عن ثديها وامتشقت حربة وتصدت لصيد الدب الاترسكى ، وإذا ما انبرى أحدهم وقد كانت ذقني الخشنة تزعند ما كان يحلقها لى في شبابي فتحدى بثروته الخاصة النبلاء قاطبة ، وإذا ما كان فرد من حثالة النيل هو كريسبينوس وقد كان عبداً في كانويوس^(١) يطوح بعباءته الصورية على كتفه ويهوى خاتماً صديقاً على أصابعه الندية لأنه لا يستطيع أن يحمل ثقل حجر كريم أكبر من هذا حجماً . فمن العسير أن لا يكتب المرء الهجاء^(٢) . لقد بلغ كريسبينوس هذا مرتبة قائد الحرس الإمبراطورى في روما . ولكن حقد يونانيس المتأجج عليه

= وانظر أيضاً بلوتارخوس إيزيس وأوزيريس ٣٩ .

وحدث في سنة ٧٠ أن عثر على أبيس وقد حضر تيتوس Titus حفل تنصيبه (راجع سيوتونيوس «حياة تيتوس») وقد كانت حفل تنصيب أبيس سنة ١٢٢ مناسبة لقيام اضطرابات في مصر . وإنا لنعلم أن العجل أبيس كان له أجل معلوم لا يحل له أن يتجاوزهُ وهو خمسة وعشرون عاماً . فأغلب الظن إذن أن المناسبة التي علق بذهن الشاعر والتي أشار إليها في هذه الأبيات كانت مناسبة تنصيب العجل أبيس التالى للعجل الذى حضر تيتوس حفل تنصيبه سنة ٧٠ وهى تقع بين ٩٥ ، ٩٧ .

وقد ظل الاحتفال بتنصيب العجل أبيس يحيا في مصر إلى أواخر القرن الرابع الميلادى فقد رأى المؤرخ أميانوس ماركيلينيوس في حوادث عام ٣٦٣ «أنه قد رفع إلى الإمبراطور يوليانوس كتاب من والى مصر يقول فيه إنه بعد مجهود شاق قد أمكن أن يجلوا أخيراً بعد ربح من الزمن عجل أبيس وهو أمر فيما يعتقد سكان مصر يبشر بالرخاء ووفرة المحاصيل ومختلف الخيرات» . (الكتاب ٢٢ ، ١٤ ، ٦) .

(١) موقعها الآن كوم سمعدى بالقرب من أبى قير . وكانت تشتهر بالعبث والمجون (راجع استرابون ١٧٠ ، ١ ، ١٧) وقد عرف عنها يونانيس هذا الفجور وكان يضرب بها الأمثال فقال : « عند ما هربت إيبيا زوجة عضو مجلس الشيوخ مع مصارع إلى فاروس والنيل أى إلى مدينة لاجوس الشهيرة فإن كانوبوس نفسها قد استنكرت مخازى روما وأحوالها» . القصيدة (٦ ، ٨٢ ، ٨٤)

(٢) القصيدة ١ ، ٢٢ ، ٣٠ -

ويكرهه الدفين له قد حملاه على مهاجمته أشد الهجوم وأعنفه غير عابئ بما قد تجره عليه هذه المرأة من عواقب وخيمة حتى لقد ذهب البعض إلى أن كريسيينوس هذا كان مسئولاً عن نفي الشاعر إلى مصر (١).

وقد قال يهجووه وهو لا ينوى أن يكف عنه :

« هاكم كريسييوس مرة أخرى ، فلا بد لي من حق ذكره في المحافل كثيراً . فهو وحش ليس به من فضيلة واحدة تنقذه من رذائله . وهو داعر قليل ليس فيه من قوى إلاشهواته ، وزان لا يتعفف إلا عن الآنسات فحسب فإذا يجديه إذن أن تتسع ساحاته فتضني خيله . وأن تنفسح أرجاء أحراشه التي يترىض في ظلها ، وأن تكثر الأفدنة والقصور التي اشتراها بالقرب من قلب المدينة ؛ ليس من شريد سعيد . وخصوصاً الداعر المتفحش الذي ضاجعته منذ عهد حديث كاهنة معصوبة الشعر (٢) قضى عليها أن ترقد تحت الثرى ولا يزال دمها يجري في عروقها . »

« سأحدث الآن عن أشياء أقل خطراً . ومع ذلك فلو أن شخصاً غيره قد أتى نفس العمل لوقع تحت طائلة اللوم . ذلك أن ما يشين الرجال الفضلاء من أمثال تيتيوس وسييوس يزين كريسيينوس وماذا عسك أن تصنع إن كان الشخص نفسه أبشع وأشنع من كل ما يقوم به ؛ لقد اشترى بوريه بستة آلاف سيسترتيوس (٣) أي ألف سيسترتيوس لكل رطل فيها كما يقول الذين يتحدثون عن الأمور الضخمة بتعابير ضخمة . ولو أنه حصل بهذه الهدية

(١) انظر G. Highet المصدر نفسه صفحة ٢٩ . وكان أول من نادى بهذا القول هو B. Borghesi في كتابه *Annotazione alle satire di Giovenale* باريس ، ١٨٦٩ صفحات ٥١٣ - ٥١٦ .

(٢) كانت كاهنات فستا Vesta العذارى يلبسن عصابة Vitta حول شعورهن .

وكن ينذرن للإلهة بكورتهن - وقد حكم على هذه الكاهنة بالدفن حية لقاء إهدارها هذا النذر .

(٣) أي حوالي ٦٠ جنيهاً .

الكبيرة على المكانة الأولى في وصية عجور لاولده له . أو لو أنه أرسلها
 - وهذا أفضل - إلى صديقة رائعة الجمال تركب محفة مغلقة ذات نوافذ
 عريضة . لمدهت خطته الماكرة . ولكن لا تنتظر شيئاً من هذا القبيل . فقد
 اشتراها لنفسه ، إنا لنشهد اليوم أشياء كثيرة لم يأتها أبداً أبيكيوس^(١) الزقير
 الشحيح . وهل انفتحت أنت يا كريستينوس - وقد كنت فيما مضى
 تأتزر بردي^(٢) وطنك - هذا المبلغ لقاء سمكة ؟ لعل السمك كان يمكن أن
 يشتري بأقل من ثمن السمكة . إن ضياعاً تشتري في ولاية من الولايات بهذا
 المبلغ ، وتشتري أكبر منها في أبوليا بهذا الثمن . وكيف نتصور أصناف
 الولايم التي كان يلتمها الإمبراطور نفسه إذا كان كل هذا القدر من المال
 لا يمثل إلا جانباً ضئيلاً وصينداً واحداً على هامش مادية متواضعة وقد يتجسأه
 جلس مطيلس من أحلاس القصر العظيم هو الآن رئيس الفرسان وكان همه
 فيما مضى أن ينادى بأعلى صوته على قراميط بلده المناسبة^(٣) .

وهو يصفه في حضرة الإمبراطور فيقول : « وكان حاضراً أيضاً
 كريستينوس ، وبالرغم من أن الوقت كان الصباح المبكر فقد كان يفوح
 برائحة لا تكاد تفوح بمثلها جنازتان^(٤) .

ولو أن الأمر اقتصر على هجاء كريستينوس هذا لسهل تعليقه بأن العداوة
 استعرت بينه وبين الشاعر نخصومة كانت بينهما . أو ليأس الشاعر من خير
 رجاء على يديه . ولكن يونانيس لا يكاد يسمع بمصرى أو بمن له صلة بمصر
 حتى يشحذ للهجو لسانه في مرارة وحقاء . كان يسير في السوق forum يوماً
 فرأى تمثال طيريوس يوليوس الكسندر وقد كان والياً على مصر من سنة ٦٧

(١) عاش أبيكوس في عهد الإمبراطورين أغسطس وطيريوس وكان يشتهر بالفهم
 والولع بأطياب الموائد (راجع سنিকা الرسالة ٩٥) .

(٢) قال بلنيوس في حديثه عن البردي (١٣ ، ٢٢) كان المصريون يصنعون من لبابه
 الشراع والحصير كما كانوا يصنعون منه الملابس .

(٣) القصيدة ٤ ، ١ - ٣٣ .

(٤) سنة ٤ ، ١٠٨ - ١٠٩ .

إلى سنة ٧٠ (١) . وكان الرجل يهودياً لا يمت لمصر إلا بأوهى الصلوات ومع ذلك فقد تعرض هجو الشاعر إذ يقول : « ثم بلغنا تماثيل النصر التي تجرأ أحد المصريين من حكام الصحراء الشرقية (٢) لا أدري له اسماً فوضع بينها ألقابه . وحلال بالقرب من تمثاله ألا يقتصر الناس على التبول » (٣) .

هذا مبلغ كرهه لرجلين يمتان لمصر ببعض الصلة . أما كرهه للشعب المصرى فقد تجلى فى أوضح صورة فى قصيدته الهجائية الخامسة عشر وقد جاء فيها ١ - ١٣ « من يجهل ياولوسيوس البيثيني ضروب المسوخ التي تقديسها مصر المفتونة (٤) . فهذه المنطقة تعبد التمساح (٥) وتلك تقديس الأيبس المتخوم بالثعابين (٦) وفى المنطقة التي تدوى فيها الأوتار السحرية من ممنون

(١) انظر كتاب "A History of Egypt under Roman Rule" J.G. Milne

الطبعة الثالثة سنة ١٩٢٤ صفحات ٢٢ - ٢٩

(٢) لقد أثبت M. Rostowzew فى "Römische Mitteilungen" أن لقب « حاكم

العرب » Arabarches حاكم المنطقة التي تسمى فى مصر ببلاد العرب .

(٣) القصيدة ١ ، ٣٠ - ٣١ .

(٤) لقد كان تقديس المصريين لبعض الحيوانات موضوعاً أثيراً لدى الكثيرين من الكتاب

القدماء . انظر هيرودوت ٢ ، ٦٥ - ٧٦ . ويودور الصقل ١ ، ١١ - ٢٦ ، ٨٣ - ٩٠ ،

استرابون ١٧ ، ١ ، ٣٨ ، ٤١ ، وباوتارخوس « إيزيس وأوزيريس » ٧١ - ٧٥ ، وماكسيموس

الصورى ٨ ، ٥ .

(٥) يعنى الإله « سبك » وكان يعبد فى كروكوديلوپوليس أى مدينة الفيوم الآن

(٦) الأيبس يمثل الإله تحوت وقد كان مقدساً فى هرموبوليس الكبرى أى الأشمونين

وهرموبوليس الصغرى أى دمنهور . وقال هيرودوت ٢ ، ٧٥ « وتذهب الرواية إلى أن الحيات

المجنحة تطير فى الربيع من بلاد العرب صوب مصر ولكن الطائر أبا منجل (الأيبس) لا يدعها

فى طريقها بل يببدها . ويقول الأعراب إنه من أجل هذه الخدمة يقديس أبو منجل عند المصريين

تقديساً عظيماً . ويوافق المصريون على أنهم يقديسون هذه الطيور من أجل هذه الخدمات » . ويقول

بلينيوس ١٠ ، ٧٥ ويستعيد المصريون بالأيبس ضد هجمات الثعابين » . وقال كيكرو فى كتابه

« فى طبيعة الآلهة » ١ ، ٣٦ « فالمصريون وهم ماثار السخرية لا يقديسون الحيوان إلا لفائدة

يجنونها منه . فالأيبس (أبو منجل) وهو طائر كبير ذو سيقان قوية ومنتقار طويل صلب يهلك

عدداً كبيراً من الحيات . فهذه الطيور إذن تحمى مصر من الأمراض الوبائية بقتلها والتهاهما

للحيات الطائرة التي تجلبها الرياح الجنوبية الغربية من صحراء ليبيا . وهكذا تجنب مصر ويلات

لدغاتها وهى حية وشر العدوى عند ماتها » . وقال أميانوس ماركيلينوس ٢٢ ، ١٥ ، ٢٥ : =

المصلوع^(١) وحيث تقع طيبة القديمة المتداخية بأبوابها المائة^(٢) يتألاً التمثال الذهبي للنسناس^(٣) . هنا يعبدون القطط^(٤) وهنا سمك النيل^(٥) . وهناك

« ومن الطيور المصرية الأبيس وهو مقدس وأليف ومحجوب لأنه ينقل بعض الحيات إلى أعشاشه ليتخذها طعاماً له ، فيكون بذلك سبباً في هلاك هذه اللعنات المميته وندرتها . وهذه الطيور أيضاً تصطرع مع جحافل الحيات المجنحة ، التي تأتي من مستنقعات بلاد العرب وتنتج سموماً خبيثة . وهزمها في معارك جوية وتلثمها قبل أن تغادر حدود بلادها » .

(١) في الأساطير اليونانية أن أن ممنون ابن تيثونوس وإلهة الفجر . وقد أطلق الإغريق اسمه على تمثال أممنتب الثالث وزوجه الليبية قى . وأول من وصف ظاهرة صدور الأنعام عن التمثال هو : استرابون ١٧ ، ١ ، ٤٦ حيث قال « ويوجد هنا تمثالان ضخمان متجاوران كل منهما من حجر واحد . أحدهما سالم أما الآخر فقد تهدم من القاعدة إلى الأجزاء العليا على إثر حدوث زلزال فيما يقولون . والمعتقد أنه يصدر مرة كل يوم صوتاً كأنه صفيح خافت من ذلك الجزء من التمثال الذي بقى على العرش ومن القاعدة . وعند ما كنت حاضراً في هذه البقاع مع ايليوس جالوس وجمهور حاشيته من الأصدقاء والجنود ، (سنة ٢٥ ق) سمعت أنا نفس الصوت حوالي الساعة الأولى (الأولى من شروق الشمس أى السادسة صباحاً) ولكنى لست بقادر أن أجزم فيما إذا كان الصوت قد صدر من القاعدة أم من التمثال أم قد أطلقه أحد الذين كانوا واقفين في دائرة بالقرب من القاعدة . ذلك أنى أميل - لنفناء العلة - إلى تصديق أى شيء إلا أن يكون الصوت صادراً من الحجارة المصفوفة على هذا النحو » . ولما زار الإمبراطور سيفيروس مصر سنة ١٩٦ ب . م . أمر بترميم التمثال فلم يصدر عنه صوت منذ ذلك التاريخ .

(٢) كانت طيبة وموقعها الآن الأقصر تعرف بذات المائة باب فقد قال هوميروس « الالياة » (٩ ، ٣٨٣) طيبة ذات المائة باب ، التي ينطلق من كل باب منها مائتا محارب بخيلهم ومركباتهم » .

وقد زارها استرابون سنة ٢٥ ق . م فقال (١٧ . ١ . ٤٢) وترى إلى الآن آثار عظمتها ممتدة مسافة ثمانين أستاذ طولاً وتوجد بها معابد عديدة وقد خرب قميز أكثرها . والمدينة الآن مجموعة من القرى » .

(٣) Cercopithecus ؛ جاء في معجم الحيوان للفرير أمين المعلوف أنه الحجرس وهو قرود صغير طويل الذنب يعرف عند عامة المصريين بالنسناس . وكان يرمز للإله تحوت ويقدم من الأشمونيين .

(٤) القطط يرمز للإلهة باست وكانت تعبد في يوباسطين وموقعها الآن الزقازيق . قال هيرودوت (٢ ، ٦٧) « وتنقل القطط بعد موتها إلى مقاصير مقدسة في مدينة يوباسطيس حيث تحفظ وتدفن » . وقال ديودور الصقل (١ ، ٨٣) ومن يقتل عامداً أحد الحيوانات المفدسة يلاق الموت ه أما من يقتل قطاً أو أبا منجل (أبيس) فسواء قتلها عامداً أو غير عامد فالموت نصيبه على كل حال .

(٥) قال هيرودوت (٢ ، ٧٢) « ويعتبر مقدساً من الأسماك ، النوع الذي يسمى بالشبوط وثنبان الماء وهذان النوعان من الأسماك مقدسان فيما يقولون للنيل » . وقال استرابون (١٧ ، =

القرى كلها تعبد الكلب^(١) . ما من أحد يعبد ديانا^(٢) . وحرام أن يدنس الكرات والبصل^(٣) وأن يقضم بالأسنان . يا له من شعب قدسى تنمو عنده هذه الآلهة في حدائقه ؟ إن الموائد كلها تعزف عن ذى الوبر^(٤) من الحيوان ، ومن الحرام هناك ذبح صغار الجداء^(٥) . ومع ذلك فمن الحلال أكل اللحم البشرى^(٦) .

= ٤٠ . ١ ،) ويوجد على الضفة المقابلة من النهر مدينة أوكسيرنخوس = أى مدينة القنومة (هى البنسة الآن) وإقليم بهذا الاسم . وهناك يعظمون القنومة ويوجد عندهم معبد للقنومة مع أن سائر المصريين يشتركون في تعظيمها وأهل إقليم لاطوبوليس (هى إسنا الآن) يعظمون اللوطوس وهو نوع من السمك فى النيل » .

(١) كان الكلب مقدساً للإله ست . قال استرابون ١٧ ، ١ ، ٤٠ « مدينة لينوبوليس أى مدينة الكلب (وموقعها الآن الشيخ فضل فى مواجهة بنى مزار حيث يعظم أنوبيس وحيث تقام مأدبة مقدسة للكلاب » . ويقول ديودور الصقلى ١ ، ٨٧ « يصور المصريون الإله الذى يسمونه أنوبيس على هيئة إنسان له رأس كلب إشارة إلى أنه حارس أتباع أوزيريس وإيزيس ... » إن كافة المصريين يشتركون فى تعظيم بعض الحيوانات كالثور والكلب والقط »

(٢) الإلهة Diana تقابل عند اليونان أرتيميس وقال هيرودوت ٢ ، ١٣٧ « والإلهة بوباسطيس هى فى اللغة اليونانية أرتيميس »

(٣) قال بلوتارخوس « إيزيس وأوزيريس » (٨) « ولكن الكهنة يعزفون عن البصل ويكرهونه ويتعمدون أن يتجنبوه » . وقال بلينيوس (١٩ - ٣٣) « والمصريون يعدون الثوم والبصل بين الآلهة عند الحلف » . هذا عن البصل أما الكرات فلم يرد ما يشير إلى تقديسه فى غير هذا الموضع .

(٤) يعنى الكباش وهو مقدس لخنوم . قال استرابون ١٧ ، ١ ، ٤٠ « أهل سايس (صا الحجر) يعظمون الكباش وكذلك أهل طيبة « الأقصر » وقال هيرودوت (٢ ، ٤٢) « ولا يضحى أهل طيبة بالكباش فهى عندهم مقدسة » .

(٥) يقول استرابون (١٧ ، ١ ، ١٩) منديس (تل اربع فى الجنوب الشرقى من المنصورة) حيث يعبدون بان « ويقول هيرودوت (٢ ، ٤٦) « يقدر أهل منديس الماعز ولكن الذكور منها أكثر من الإناث ورعاة الذكور يحظون بتعظيم أكثر من رعاة الإناث ، ويقدر واحد من الذكور بوجه خاص ، فإذا مات يعم الحداد العظيم كل إقليم منديس وفى مصر يسمى الماعز وبان كلاهما بمنديس » .

(٦) لقد أنكر هيرودوت مجرد التضحية بالإنسان فنتساءل (٢ ، ٤٥) « كيف يجوز لعوم لا تحل لهم التضحية بالحيوان إلا الخنازير والثيران والعجول ما كان منها طاهراً والأوز ، أن يضحوا بأدميين ؟ » ومع ذلك فقد قال ديودور الصقلى (١ ، ٨٤) « يحكى أن القحط هصر المصريين مرة فصاروا فى عوزهم يأكلون بعضهم بعضاً ولكن أحداً منهم لم يتهم - مجرد تهمة - بتناول أى الحيوانات المقدسة » .

ثم يقول (٢٦ - ٨٣) بعد استطراد قصير « سأروى الآن قصة عجيبة وقعت حديثاً في عهد قنصالية يونكوس (١) خارج أسوار قفط المحرقة . سأروى خبر جريمة ارتكبتها الشعب كله هي أبشع من كل ما في المآسى المسرحية من جرائم . فإن أنت استعرضت كل الجرائم في المآسى المسرحية فلن تجد بين كتاب المآسى من جعل الشعب هو المحرم . واسمع أي جريمة أتت بها الهمجية العارمة في عصرنا هذا .

إن العداء القديم المتأصل والكره الأبدي الذي لا تندمل جراحه أبداً لا يزال إلى الآن متأججاً بين المدينتين المتجاورتين أمبي (٢) وتنتيرا (٣) . فالحنق في كليهما عظيم شامل لأن كل منطقة منهما تمتعت آلهة جيرانها (٤) . لأنها تؤمن أن الآلهة الوحيدة التي يجوز أن تعد آلهة هي الآلهة التي تعبدتها هي

(١) كان يونكوس قنصلا سنة ١٢٧ ب . م .

(٢) كان المعتقد قديماً أن أمبي هي كوم أمبو ولعل ما حدا بالعلماء إلى هذا الرأي ما اكتشف في كوم أمبو من جبانات شاسعة للتأسيح المحنطة . راجع Moset (المصدر نفسه) صفحة ٣٦٥ . وحيث أن كوم أمبو « تبعد عن مدينة تنتيرا وهي دندرة الحالية بمسافة تزيد عن ١٢٠ ميلا فقد شك في صحة وصف المعركة لأن كوم أمبو على الجانب الأيمن من النيل في حين أن دندرة على الجانب الأيسر منه ، ثم إن واحدة منهما فقط إلى الشمال من قفط . وإذن فلا يمكن أن تقوم بينهما معركة على الإطلاق .

وقد ذهب العلماء بصدد هذا الشك مذهبين فأما الأول فقد أنكر صحة نسبة القصيدة الخامسة عشرة برمتها إلى يوناليس (راجع C. Kempf في كتابه De Satira quinta decima quae sub Juvenalis nomine circumfertur ، برلين سنة ١٨٤٣) وأما الثاني فقد أنكر أن يوناليس زار مصر (راجع Duff المصدر نفسه ص ٦٠٢ هامش (١) .

ولكن J. Dümichen أخرج سنة ١٨٧٩ في برلين كتابه في تاريخ مصر القديمة Geschichte des Alten Agyptens وبرهن فيه (صفحة ١٢٥ - ١٢٦) على أن أمبوهي مدينة نبط المتاخمة لدندرة . وفي سنة ١٨٩٥ قام W. M. F. Petrie J.E. Quibell بالحفائر في هذه المنطقة وأخرجها سنة ١٨٩٦ كتابهما Naqada and Ballas وأثبتا فيه أن أمبي هي نبط بما لا يدع مجالاً للشك (انظر صفحات ٦٥ - ٧٠) .

(٣) موقعها الآن دندرة وكان اسمها في العصر اليوناني الروماني أفروديتوبوليس أي مدينة هاتور .

(٤) كان الإله ست يعبد في أمبي ويقول Moret (المصدر نفسه ص ٦٨) إن نبط كانت أقدم مراكز عبادة الإله ست ومعقل أتباعه السياسي . وهي بالقرب من نقادة وبلاص على الضفة الغربية من النهر في مواجهة قفط . وكان ست يصدر على شكل تمساح . أما دندرة =

نفسها وقد حدث في فترة العيد عند أحد هذين الفريقين أن بدا لأعيان خصومهم وقادتهم كلهم أنه لا بد من انتهاء هذه الفرصة حتى لا يتمتع أعداؤهم بيوم فرح وحبور . ولا بلذة العشاء الفاخر إذ تمتد الموائد أمام المعابد وفي مفترق الطرق ويسهرون على الأرائك تمتد بالليل والنهار إلى أن تطلع عليها شمس اليوم السابع (١) . إن مصر ولاشك عاتية ولكن شعبها الهمجي لا يختلف في الترف كما لاحظت بنفسى حتى عن كانوبوس الشهيرة (٢) . أضف إلى هذا

= فقد كانت مركزاً من مراكز عبادة الإله هاتور . وقد قام الإمبراطور دوميتيانوس ببناء بوابتين لمعبدها في دندرة سنة ٨٨ . وكان أهل دندرة يشتهرون بكراهيتهم للتمايح قال استرابون (١٧ ، ١ ، ٤٤) « وفي مدينة تنثيرا على عكس الأمر عند سائر المصريين لا يعظم التماسيح بل يعد أبغض الحيوانات كلها . ذلك أنه بالرغم من أن سائر المصريين يعرفون ضراوة الحيوان ومبلغ فتكه بالجنس الإنساني فإنهم مع ذلك يقدسونه ولا يؤذونه ، في حين أن أهل تنثيرا يتعقبونها ويقتلون بكافة الطرق . ويقول البعض إنه كما يوجد نوع من النفور الطبيعي بين البسليين بالقرب من فوريتة وبين الزواحف ، فكذلك الحال بين أهل تنثيرا والتمايح حتى إنهم لا يصيهم منها ضرر . بل إنهم يغطسون في نهر بلا خوف ويعبرونه في حين لا يجروا أحد غيرهم على ذلك ... وهم يعبدون أفروديتي^٣ . وقال بلينيوس (٨ ، ٣٦) « إن فئة من الناس تدعى أهل دندرة من اسم الجزيرة التي يسكنونها في النيل ذاته تعادى التمايح ... وهؤلاء وحدهم هم الذين يجروون على مهاجته فهم يسبحون في النهر ويعتلون ظهره كما لو كانوا يمتطون صهوة جواد ، وعند ما يغير فاه ويميل برأسه للوراء للعض يدخلون في فيه عصا ويمسكون بطرفها بائمين والشمال ويسوقون أسيرهم إلى الشط كما لو كانوا مسكين بأعنة . وهم يخيفون التمايح بمجرد الصراخ حتى يضطرونها لقيء ما التهمت من جثث حديثة لدفنها . ولذلك فإن التمايح لا تقرب هذه الجزيرة وحدها كما أن رائحة هذا القبيل من الناس تنودها كما تنود رائحة البسليين الحيات » .

(١) لقد أورد F. Petrie في كتابه Denderah ، لندن ١٩٠٠ ص ٥٧٠ - ٥٩ . وصفاً دقيقاً لولائم كبرى كانت تقام في دندرة . أما أن المصريين كانوا يولون خارج البيوت فظاهر من قول هيرودوت (٢، ٣٥) « وهم يأكلون خارج بيوتهم في الطرقات » . ومن قول ميلاد (١، ٥٧) « إنهم يتناولون طعامهم علناً خارج بيوتهم » أما عن عدد أيام العيد فيقول أميانوس ماركيلينوس (٢٢، ١٥، ١٧) « وبالرغم من أن التمايح ضارية على اللوام ، فإنها تنبذ ضراوتها وتهدأ كأنها عقدت هدنة عسكرية طوال أيام العيد السبعة التي يحتفل فيها كهنة حنف بميلاد النيل » .

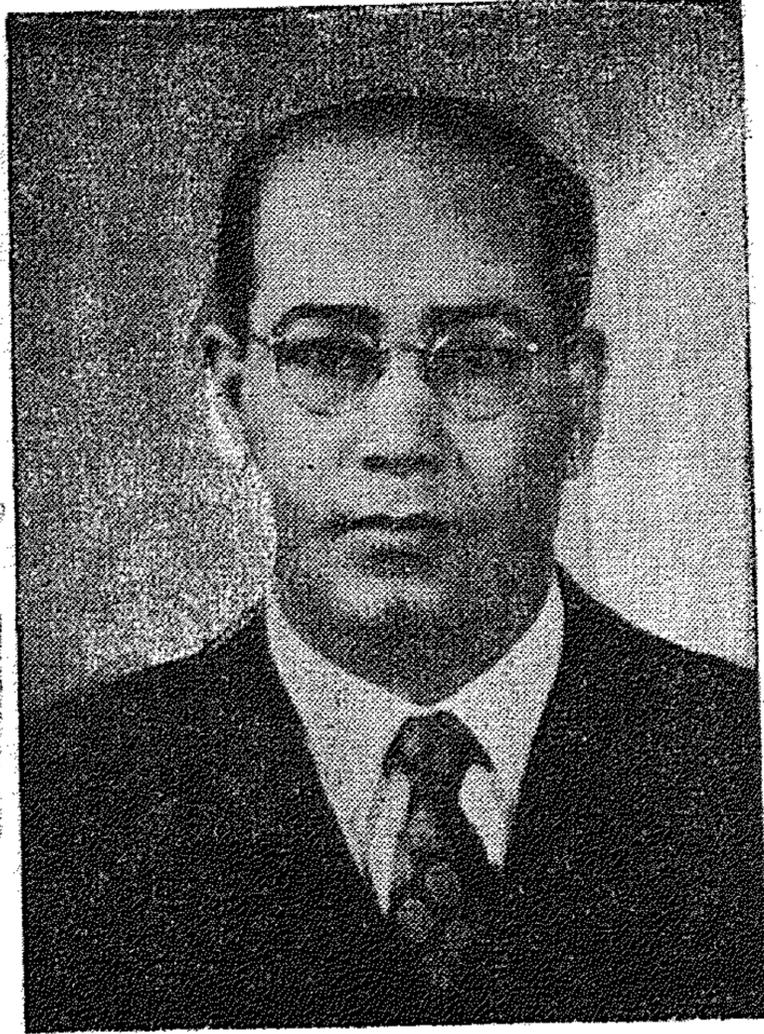
(٢) راجع الهامش (١) ص ١٦ .

أن الانتصار سهل على قوم مخمورين يترنحون في شرابهم (١) . ففي ناحية قام نفر يرقصون على أنغام زمار (٢) اسمر وقد تعطروا بما اتفق من عطور ، وكللوا جباههم بأكاليل من مختلف الورد . وفي الناحية الأخرى كان الحقد ضارياً . وقد بدأ السباب يدوى أولاً ، وهو بمثابة تغير الاشتباك لنفوسهم الملهية . وعندئذ التحموا وقد تعادل الصراخ في الجهتين وصالت الأيدي الغزل بدلا من السلاح ، فقل من الأصدغ ما نجت من الجراح . ولم تخرج ألف واحدة سالمة من كل هذا الشجار . ويمكنك أن ترى الوجوه مشدوخة الآن في الجهتين جميعاً ، وقد تغيرت الآن سماتها وبرزت العظام من الأصدغ المشجوجة ، كما ترى قبضات أيديهم وقد تلطخت بالدماء التي سالت من العيون . ومع كل ذلك فهم يعتقدون أنهم يلهون ويشنون حرباً كلعب الأطفال لأنه لم تسقط على الأرض جثث يطأونها . ولا غرو فما جدوى الدهماء في كل هذه الآلاف من المتشاجرين ، إذا كانوا كلهم سيعيشون ؟ ومن ثم اشتد الهجوم أكثر من ذي قبل فقد فتشوا الأرض عن الحجارة (٣) وهي أسلحتهم الوطنية في الفتن وأخذوا يطوحون بها بأذرعهم . وهي ليست كالحجارة التي

(١) يقول هيرودوت (٢ ، ٧٧) « إن المصريين يتعاطون خمرأ مستخرجة من الشعير إذ لا يوجد في بلادهم كروم » . وقال بلينيوس (١٤ ، ٩) إن النبيذ السينيقي (السمنودي) ينتج في مصر وهو يصنع من ثلاثة أنواع شهيرة من العنب تنمو فيها . وتحدث (١٤ ، ١٩) عن خمر البلح وفي (١٤ ، ٣٩) عن خمر الشعير .

(٢) قال هيرودوت (٢ ، ٢٨) في وصف عيد دبونيوسوس « ويتقدم الزمار الموكب » وقال استرابون (١٧ ، ١ ، ٤٤) وفي أييلوس يقدسون أوزيريس ، ولا يسمح في معبد أوزيريس لمغن أو لنافخ فأي أوعازف قيثار أن يستهل الشعائر كما هي العادة في سائر طقوس الآلهة .

(٣) قال استرابون (١٧ ، ١ ، ٥٣) « لقد صمد برونوس وليس معه إلا حرسه من الجند عند ما هاجه جمع لا يحصى من السكندريين بوابل من الحجارة » .



المرحوم الدكتور وهيب كامل

كان يقذف بها تورنوس (١) أو أياس (٢) أو كالتى ضرب بها ابن تيديوس (٣)
 أينياس على حقوه ولكنها تليق بأن تطلقها أيدي لا تشبه أيديهم فهي مولودة
 في عصرنا هذا . ذلك أن الجنس الإنساني بدأ حتى في عصر هوميروس
 ينوى فالأرض الآن تخرج رجالاً أشقياء ضعاف (٤) ولذلك فإن كل إله
 يرمقهم يسخر منهم ويمقتهم .

« ولنعد الآن من هذا الاستطراد إلى قصتنا : فبعد أن ازدادوا بالمدد تجاسرت
 فئة منهم فاستلت السيوف وبدأت المعركة من جديد بالسهام الخطرة . فما كان
 من سكان تثيرا المجاورة ذات أحراش النخيل الظليلة إلا أن لاذوا بالفرار
 . هرولين أمام هجوم أهل أومبي . وكان الرعب الشديد قد استبد بواحد
 منهم فأسرع في الجرى فعثر وقبض عليه . وما كان من الفئمة المنتصرة إلا أن
 مزقته إرباً وأجزاء كثيرة حتى يكفى قتيل واحد الكثيرين . والتمته كله
 ونهشت عظامه . ولم ينضج بالسلق في أوانٍ ولم يشو على السفايد فقد رأوا
 أن انتظار إنضاج النار سيكون طويلاً وثقيلاً فرضوا بالحثه نيئةً .

وهو لا يلتمس للشعب عذراً فيما وصف فهو يقول (١١٩ - ١٢٨)
 ولكن ما الخطب الذي دفع هؤلاء إلى هذا ؟ أى مجاعة طاحنة هصرتهم أو أى
 أسلحة مبيدة حصرتهم فاضطرتهم إلى الاجترأ على مثل هذا الإثم المشنوء ؟

(١) تورنوس في « الإلياذة » لفرجيليوس هو ملك الروتوليين وقد قاوم غزو الطرواديين
 أشد مقاومة والإشارة إلى ١٢ ، ٨٩٦ - ٩٠١ .

(٢) أياس ابن تيلامون قائد السالامينيين في حصار طروادة . والإشارة إلى « الإلياذة »
 ٣٨٣ ، ٣٨٠ ، ١٢ ، ٢٦٩ ، م ١٨ ، ٧

(٣) ابن تيديوس هو ديوميديس وهو قائد أهل أرجوس في حصار طروادة . والإشارة
 إلى « الإلياذة » ٥ ، ٣٠٢ - ٣٠٥

(٤) كان اليونان ، والرومان من بعدهم ، يؤمنون بنكسة الجنس الإنساني وبأن العصر الذهبي
 كان أسبق العصور ثم تلاه العصر الفضي ثم البرونزي ثم عصر الأبطال وهو العصر الذي يمثله
 شعر هوميروس ثم أخيراً العصر الحديدي وهو أسوأ وأحط العصور كلها .

قلو أن أرض منفيس جفت فهل كان في وسعهم أن يأتوا أكثر من هذا كيداً في النيل الذي أبي أن يفيض ؟

لا السدبريون^(١) والبريثنانيون المرعبون^(٢) ولا السرماتيون^(٣) نعتاة ولا الأجاثيرسيون^(٤) المخبولون قد هاجوا مثل هياج هذا الشعب الخانع^(٥) التافه الذي كان همه من قبل أن يضع أشرعة صغيرة على قوارب من الخرف وأن يزود الزوارق الفخارية الملونة بمجاديف صغيرة^(٦) .

ونلاحظ أولاً أن القصيصة تفيض بالكراهية للمصريين . حقاً إن يوناليس كان يكره الأجانب عموماً من يونانيين^(٧) ويهود^(٨) وكلدانيين^(٩) إلا أن كرهه هؤلاء لا يبلغ مبلغ الحقد العارم الذي جعله يقف هذه القصيصة برمتها على هجاء مصر وأهلها . وإن هذا الحقد قد أعماه عن شيئين . أعماه عما كان يجري في سائر البلاد من مخازم لم يذكر منها واحدة . كما أعماه عما كان يدور في روما نفسها في « حلبات المصارعة » حيث كان الإنسان يتصدى للحيوان كما كان يتصدى لأخيه الإنسان ولا يخرج من حلبه المصارعة إلا قاتلاً أو مقتولاً .

(١) السدبريون Cimbri شعب سلتى اتحد بالتوتون وانحدروا جنوباً في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد وهزموا الرومان مرات عديدة كان آخرها سنة ١٠٥ ق . م ولكنهم لحسن حظ الرومان لم يعبروا جبال الألب فيغزوا روما وإنما ساروا إلى أسبانيا . ولما رجعوا كان الرومان قد استعدوا لهم فهزموهم سنة ١٠٢ ، ١٠١ ق . م ونحوف الرومان منهم ضربوا بهم المثل في القسوة .

(٢) وصفهم هواتيوس في الأغاني (٣ ، ٤ ، ٢٣) « بأنهم قساة على الأجانب » .

(٣) هم سكان شرق روسيا وبولندا

(٤) وصفهم هيروودوت (٤٠ ، ١٠٠) بأنهم سكان ترانسلفانيا .

(٥) قال استرابون (١٧ ، ١ ، ٥٣) « لا المصريون أنفسهم محبوبون للحرب ، مع أنهم

كثروا ، ولا القبائل المجاورة » .

(٦) قال استرابون (١٧ ، ٤١) « إن بعض الناس يتخذون مراكب من الفخار » .

(٧) انظر ٣ ، ٦١ ، ١١ ، ١٠٠ ، ١٣ ، ١٢١ .

(٨) انظر ١٤ ، ٩٧

(٩) انظر ٦ ، ٥٥٣ .

كل ذلك والناس من حولهم يتلذذون بما يشاهدون ويزجون فراغ يوم العطلة . وكانت في يونانيس حسنة لا تنكر هي كرهه للاستعمار واستغلال المحكومين . قال مخاطب والياً . « وعند ما تدخل آخر الأمر الولاية التي كنت تحلم مدة طويلة أن تكون حاكماً لها . فضع لحاماً واحداً لنزقك . وضع حداً أيضاً لحشعك وارثي لحال أهل الولاية المعلمين . فإنك لترى عظامهم قد جفت ونحلت من نخاعها . واحترم ما تأمر به القوانين . وما يوصى به مجلس الشيوخ^(١) . ولما طالبت ولاية أفريقية بمحاكمة ماريوس پريسكوس وأهمته بالرشوة وسوء الإدارة ، وأدين ونفى : كتب يونانيس معلناً عطفه على الولاية وأهلها يقول « إن ماريوس في منفاه يجرع الخمر من الساعة الثانية بعد الظهر ويرتع في غضب السماء . أما أنت أيها الولاية فقد كسبت القضية ولكنك تبكين^(٢) » . وكانت مصر ولاية رومانية يغتصب قمحها وتستنزف مواردها ، وتثن تحت وطأة الاحتلال الروماني الغاشم ولكنها لم تحظ من يونانيس مع معرفته بأحوالها بكلمة رثاء أو عطف واحدة . مما يرجح كرهه للبلاد وتحامله في وصف أهلها .

ونلاحظ ثانياً أنه يهاجم الديانة المصرية هجوماً لا ينم عن كرهه لها ولمعتنقها فحسب ؛ بل ينم عن خوفه وقلقه من تغلغلها في المجتمع الروماني^(٣) وتقويضها دعائم الديانة الرومانية . فهو يتهكم بها أشد التهكم ويقذع في هجاء كهنتها أفحش الإقذاع ويندد بمعتنقها من الرومان تنديداً كله مرارة وتثريب . قال يتهكم بامرأة تقية ٦ ، ٥٢٦ - ٥٤١ « إما ما أمرتها أبو^(٤) البيضاء فسوف تذهب إلى

(١) انظر ٨ ، ٨٧ - ٩١

(٢) راجع هامش (١) ص ٩

(٣) راجع « عبادة إيزيس في إيطاليا » The Cult of Isis in Italy للدكتور محمد

سليم سالم « رسالة » ليثربول سنة ١٩٣٧ .

(٤) هي ابنة إيتاخوس ملك أرجوس أثار جمالها إعجاب زيوس وحفيظة هيرا ،

فسخنها بقرة . وللأسطورة أصول في الأساطير المصرية القديمة . وهي هنا تعبير عن إيزيس .

حدود مصر وتحضر مياه مستقاة من مروى^(١) الحارة لترشها على معبد إيزيس الذى يقوم بالقرب من الميدان الحربى لأنها تؤمن أن الأمر قد صدر إليها بصوت الآلهة نفسها . يا له من عقل وقلب تتحدث إليه الآلهة بالليل ! ولذلك فإن المرتبة الأولى والعليا لتولى لأنوبيس^(٢) الذى تحيط به طائفة لابسى الكتان^(٣) حلقى الرعوس^(٤) . وهو^(٥) يسخر من الباكين وهو يجرى . وأنوبيس هو الذى يحصل لها على الصفح إذا لم تمتنع زوجة عن الجماع فى الأيام التى ينبغى أن ترعى قداسها . وهو الذى يقتص قصاصاً كبيراً إذ ما تدنس فراش الزوجية أو إذا رثى الثعبان الفضى يحرك رأسه . وإن دموعه وهمساته المدروسة لتدل على أن أوزيريس سوف لا يأبى الصفح عن الحرم . وذلك طبعاً بعد أن يرشى بأوزة سمينة وشظيرة من كعكة التضحية . « والحق أن إيزيس قد غزت قلوب أهل روما فامتلت معابدها هناك بالندور وقد رأى يونانيس فى الندور الذى ملأ معابد روما شاهداً على أن « إيزيس هى التى تقيم أود مصورينا »^(٦)

(١) لقد أثبتت الحفائر التى قام بها جارستانج وسائس وجريفيث وأخرجوا نتائجها فى كتابهم *Meroe* ، لندن سنة ١٩١١ ؛ أن معبد إيزيس فى مروى كان يحتوى على أدوات للطهور من العصر اليونانى الرومانى . مما يؤكد أن بعض عباد إيزيس كانوا فعلاً يزورون معبدها هناك . راجع *G. Highet* المصدر نفسه صفحة ٥٤٢ - ٣٤٣

(٢) فى الديانة المصرية القديمة هو حادى الموتى وكان يصور برأس كلب وقد عاون إيزيس فى البحث عن جثة أوزيريس ومن هنا كان دائماً فى ركبها .

(٣) قال هيرودوت (٢ ، ٣٧) إن ملا بس الكهنة المصريين من الكتان .

(٤) قال هيرودوت (٢ ، ٣٧) « ويحلق الكهنة كل أجسامهم كل يومين » .

(٥) أى الكاهن الذى يمثل أنوبيس فيلبس قناعاً يصور كلباً يجرى . والباكون هم الذين يحددون على موت أوزيريس . قال هيرودوت (٣ ، ٦١) يصف العيد فى مدينة بوسيريس « يضرب الرجال والنساء جميعاً صدورهم وهم آلاف كثيرة جداً من الناس ، وليس لى أن أذكر على من يحددون » .

(٦) انظر القصيدة ١٢ ، ٢٤ - ٢٨

وقد حاول أن يحطم نفوذ إيزيس في روما فصور معابدها مباءت للخنا والفجور فإذا إزينت عادة فلأن عشيقها ينظرها في إحدى الحدائق أو بالقرب من محراب « إيزيس القوادة»^(١). وإذا تعرض أحد أتباعها للغواية فليس في عبادتها عاصم «ومن الناس من يخشى أن يكون العقاب في إثر الجريمة ، وهو يؤمن بالآلهة ولكنه مع ذلك يأثم ويجادل نفسه على هذا النحو . لتصرف إيزيس بيدني كما تشاء ولتطح ببصرى بناقوسها Sistrum المرعد ما دمت حتى بعد فقدان بصرى أحتفظ بالأموال التي نخت الأمانة فيها»^(٢) .

والحق أن الديانة المصرية كانت تجد في روما رتعاً خصيباً وكان نفوذها يتزايد فيها إلى حد يزعج أهل النكر من الرومان ، فكانوا يشنون على مصر ودياناتها حملة من الدعاية تخفف من نفوذها إلى حين . وقد حدث هذا بشكل واضح مرتين ، أولاهما بعد موقعة اكتيوم سنة ٣١ ق . م والثانية بعد زيارة الإمبراطور هادريان لمصر سنة ١٣٠ ب . م .

فقد كان من تأثير كليوباترة على قيصر وزيارتها لروما ودعايتها لمصر أن انتشرت عبادة إيزيس في روما إلى حد اضطر معه «الحكم الثلاثي» أن يقيم معبداً لإيزيس في روما سنة ٤٢ ق . م استرضاء للجماهير واجتذاباً لعطفهم^(٣) وتفشت عبادتها في روما حتى أن كهنتها ومريديها برزن في أدب العصر الأغسطي^(٤) فلما كانت موقعة اكتيوم نفيت إيزيس خارج أسوار روما^(٥) ، وشتت حملة للدعاية ضد مصر وديانتها^(٦) . وكانت السياسة العامة هي محاربة

(١) انظر القصيدة ٦ ، ٤٨٧ - ٤٩١

(٢) « » ١٣ ، ٩٠ - ٩٤ .

(٣) راجع ديوكاسيوس ٤٣ ، ٢٧ ، ٤٧ ، ١٥

(٤) راجع كاتولوس ١٠ ، ٢٦ ، وتيبولوس ١ ، ٣ ، ٢٣ ، وبروبرتيوس ١١ ، ٣٣

(٥) راجع ديوكاسيوس ٥٣ ، ٢

(٦) راجع فرجيليوس «الإنيادة» ٨ ، ٦٨٥ - ٧١٣ وهوراس الألماني ١ ، ٣٧

٤ ، ٩ ، وبروبرتيوس ٣ ، ١١ ، ٢٩ - ٥٨ وأوفيدوس «التناسخيات» ١٥ ، ٨٢٦ - ٨

ولوكانوس «فاراليا» ٨ ، ٥٤١ - ٥٥٠ .

نفوذ الديانة المصرية في روما، طوال حكم الإمبراطورين أغسطس وطبريوس^(١) حرباً فترت في عهد الإمبراطورين كاليجولا وكلوديوس . فلما جاء نيرون عاد نفوذ الديانة المصرية من جديد^(٢) . وكان الإمبراطور أوتو (سنة ٦٩ م) أول من اشترك فعلاً في إقامة الشعائر المصرية من الأباطرة^(٣) . واتخذ الإمبراطور فسباسيانوس (٦٩ - ٧٩ م) متهجداً خاصاً في معبد سيرابيس^(٤) وكانت عبادة إيزيس أثناء الصراع العنيف الذي قام سنة ٦٩ م نشطة حتى أن دوميتيانوس استخفى في زى أحد كهنتها^(٥) وقد رد إليها هذا الصنيع بأن أعاد بناء معبدها في الميدان الحربى سنة ٩٢ م على نطاق واسع^(٦) . أما الإمبراطور هادريانوس فتده أولع بمصر وديانته وآثارها فأطال فيها إقامته واختلط بعلماء المتحف في الإسكندرية وأقام في قصره في تيبور (تيفولى) جناحاً مصريةً سماه كالييوس كانت اثروائع الفنية التي اشتمل عليها مزيجاً من الفن المصرى الخالص والفن الرومانى^(٧) . وتبع الناس في روما هوى الإمبراطور وأصبح الحديث عن مصر والأخذ بتراتها زى العصر الشائع في روما حتى لقاء بلغ عنده بعض الناس مبلغ اخوس ، فصار لمنجمها وعرافها

(١) راجع ديوكاسيوس ٥٤ ، ٦ ، ٦ ، وتاكيوس « الحوليات » ٢ ، ٨٥ ، وسينيكا « الرسائل » ١٠٨ ، ٢٢ وسويتونيوس « حياة طبريوس » ٣٦ .

(٢) راجع تاكيوس « الحوليات » ١٥ ، ٣٦ وسويتونيوس « حياة نيرون » ٤٠ ، ٤٧ .

(٣) راجع سويتونيوس « حياة أوتو » ١٢ .

(٤) راجع سويتونيوس « حياة فسباسيانوس » ٤ ، ٥ ، ٧ وتاكيوس « التاريخ » ٨١ ، ٤ .

(٥) راجع تاكيوس « التاريخ » ٣ ، ٧٤ وسويتونيوس « حياة دوميتيانوس » ١ .

(٦) لقد حضر تيتوس Titus حفل تنصيب العجل أبيس في مصر . راجع سويتونيوس

« حياة تيتوس » .

(٧) راجع "Hadrian's Villa at Tivoli" لتوماس أشبي Thomas Ashby

في كتاب : Wondess of The Pest (نشرة J.A. Hammeston سنة ١٩٢٨) الجزء

الثالث ص ٩٢٧ - ٩٤٧ .

مكانة ملحوظة في المجتمع الروماني^(١) . وكانت النساء في روما يستشن المنجم المصرى بتوزيرس قبل الإقدام على عمل من الأعمال^(٢) . فلا غرو أن ينبرى شاعرنا ليناھض هذا النفوذ الأجنبي الذى يجتاح روما ويكاد يقضى على تقاليدھا الدينية والاجتماعية . ولا جناح علينا إذا نظرنا إلى قصيدته الخامسة عشر كلها أعلى أنها ضرب من ضروب الدعاية ضد مصر وديانتھا .

ونلاحظ ثالثاً أن يوناليس لم يكن في مصر وقت حدوث المعركة التى وصفھا . فهو يقون إنها حدثت في عهد قنصلية يونكوس أى في سنة ١٢٧ م . وفي هذه السنة عينھا كان الشاعر في روما وقد كتب يداعب صديقه الذى وقع فريسة لمختمال يقول « لقد جاوزت السنين إذ ولدت في عهد قنصلية فونتوس^(٣) . وقد كان فونتوس كاييتوقصلاً سنة ٦٧ م . فلا بد إذن أن يوناليس كان في روما سنة ١٢٧ م . وقوله في القصيدة « كما رأيت بنفسى » لا ينصب إلا على الموائد الممدودة التى رأى مثلھا فيما مضى على المعركة التى دارت . وإذن فكل ما يرويه الشاعر من أنباء المعركة ووصفھا وتفصيلھا يجب أن يؤخذ بالحذر الواجب مع من ينقل عن سماع .

نحن لا نشك في قيام معركة بين أهل دندرة وأهل نبط وبلدتان متجاورتان وقد أقامت دندرة حولھا سوراً لتقاء لشر جيرانها^(٤) والأوراق

(١) لقد كان المنجمون المصريون يمشون في ركاب الإمبراطور أوتو والإمبراطور ماركوس أوريليوس ويصحبونهما أينما ارتحلا . انظر تاكيتوس « التاريخ » ١ ، ٢٣ وديوكاسيوس . ٨٦٧١ .

(٢) انظر يوناليس (القصيدة ٦ ، ٥٨٠) فاذا رقدت وقد ألم بها المرض لا تتصور أن ساعة أصلح لتناول الطعام إلا الساعة التى يوحى بها بتوزيرس .

(٣) راجع هامش (٣) ص ١٠ .

(٤) انظر G. Highet المصدر نفسه ص ٢٩ ، وراجع هامش (٢) ص ٢٢

البردية تحدثنا عن قيام أمثال هذه المعارك بين البلدان المتجاورة^(١)، والمؤرخون القدماء يشيرون إليها بين الحين والحين^(٢)

وإنما الذي نتساءل عنه هو طبيعة هذه المعركة . فقد روى بلوتارخوس أنه عند ما قامت المعركة بين أهل أوكسيرنخوس وأهل كينوبوليس تدخلت الجيوش الرومانية لفضها وإعادة الأمن . ولما قامت المعركة بين أهل منفيس وهليوبوليس فيما تقول « التواريخ الأوغسطية » بمم الإمبراطور هادريانوس وجهه شطر مصر لإعادة الأمور في نصابها . وهذه معركة تقوم بين بلديتين قريبتين من قفط . وقنط معسكر من معسكرات الجيش الروماني في مصر^(٣) فلماذا لم يتدخل الجيش لفض المعركة ؟ هل كان قائد الكتيبة الرومانية المرابطة في قفط أخبر بالعادات المصرية من السائح الروماني الذي تصادف مروره في هذه المنطقة ونقل ما رأى إلى يونانيس في روما ؟ وقد بدأت المعركة بقذف الحجارة فأحرى بالروماني الغريب أن يتبعد عن معتركها فهو في الأكثر لم يشهدها عن كتب . بل رأى أطرافاً منها ونقلت إليه أطراف فجمع شملها ورواها للشاعر الذي صاغها بما يتفق مع مراميه في الدعاية ضد مصر بما يتقنه من أفانين المبالغة والتهويل ، يعينه عليهما ما يلقيه في حنايا وصفه من لمسات واقعية يستقيها من إقامته في مصر . والذي يعيننا الآن هو ماذا رأى الراوى فعلاً .

إن نبط أقدم مركز لعبادة الإله ست . وقد اكتشف فيها بئري سنة ١٨٩٥ جبانة قديمة ومعبداً فيه صلوات كثيرة موجهة إلى ست نبطي

(١) راجع بردى القاهرة ١٠٣٥١ ، ١٠٣٧١ وبردى أوكسيرنخوس ١٨٢١ ، ١٨٥٣ ، ١٨٦٦ ، ١٨٦٧ . وانظر كتاب "Life and Letters in the Papyri" G. Wienter سنة ١٩٣٣ صفحة ١٧ - ١٨ .

(٢) انظر بلوتارخوس « إيزيس وأوزيريس » ٧٢ والتواريخ الأوغسطية Historia Augusta في حياة هادريانوس . وراجع J. G. Milne المصدر نفسه ص . ٣٤ ، ٤٣ .

(٣) راجع J. G. Milne المصدر نفسه ص ١٧٧

أى ست الإله الخاص بنبط أوست إله النبطيين وهو ابن نوت إلهة السماء وسيد مصر العليا . ولعل ست كان أقدم إله حظى بلقب سيد فلا بد إذن أن يكون أتباعه ومريدوه قد فرضوا إلههم في مبدأ العصور التاريخية على الأقاليم الجنوبية وجعلوه أول ملك لمصر العليا . ولم يكن ست من آلهة النور ، بل كان إلهاً من آلهة الظلام والشر^(١) . وهو أعدى أعداء الثالوث الأقدس إيزيس وأوزيريس وحورس .

أما إيزيس - في هيئة هاتور - وهي الأم الكبرى وزوج حورس الأكبر فكانت تعبد في دنندرة في معقل عبادة خصمها ست وهو في صورة التمساح سبك^(٢) .

ولقد هيأت الطبيعة للإله ست أن يتعالى على آلهة النور ، فلم يكن للنور أن يتغلب على الظلمة . ولا للنهار أن يتغلب على الليل . وهذا الكسوف والخسوف واحقاق القمر كلها شواهد على غلبة ست . هذه كلها كانت هجمات من الإله ست ضد العين اليمنى (الشمس) والعين اليسرى (القمر) للإله حورس . وقد كان المصريون يسمونها معارك السماء (خنوم بت) وكان حورس وست يسميان « المتحاربان » وكان من طبيعة هذه المعارك وهذه الحرب ألا يتغلب فيها الواحد على الآخر بل هي سجال بينهما فيتعادلان فيها كما يتعادل الليل والنهار^(٣) . ولقد كانت هذه الحروب والمعارك موضوعاً محبباً في الأدب الأسطوري المصري القديم . قال بلوتارخوس « يقول المصريون طبقاً لما يعتقدون ، إن طيفون (= ست) يضرب عين حورس مرة ومرة ينتزعها ويبتلعها . وعندئذ يعطيها ثانية للشمس . وهم يرمزون بالضربة إلى احقاق القمر كل شهر وبالانتزاع يرمزون إلى خسوفه الذي تداويه الشمس بالإشراق عليه فور خروجها من ظل الأرض^(٤) .

(١) انظر Moret المصدر نفسه ص ٦٨ - ٦٩

(٢) المصدر السابق ص ١١٠

(٣) المصدر السابق ص ٧٠

(٤) إيزيس وأوزيريس ، ٥٥

فإذا ما رجعنا إلى القصيدة الخامسة عشر ونظرنا إليها في هذا الضوء وجدنا أن المعركة قد قامت أثناء العيد ، يوم مد أهل دندرة الموائد أمام المعابد ، وقاموا يرقصون على أنغام المزمار ، وشربوا الخمر حتى ثملوا وتعطروا وكللوا رؤوسهم بالأزهار . ثم حدث الهجوم من أهل أمبي أتباع ست ولكن الحرب بدت للشاهد الراوى كأنها من لعب الأطفال ، ثم استلت السيوف فهزول أهل دندرة متراجعين أمام أهل أمبي أى رجع أتباع إيزيس أمام جحافل أتباع ست فهي أقرب إلى التمثيليات الدينية في ملابسها وظروفها كما تبدو من وراء الحجاب الكثيف الذى أسدلته عليها أغراض الدعاية ضد مصر والنيل من سكانها . قد يكون أحد أهل دندرة قد سقط فعلا على الأرض فوق تحت وطأه أقدام المهاجمين . ويحتمل أن يكون هذا حلقة من حلقات التمثيلية وقد جاء في وصف المعركة « ومع كل ذلك فهم يعتقدون أنهم يلهون ويشنون حرباً كلعب الأطفال لأنهم لم تسقط على الأرض جثث يثأونها » .

قال هيرودوت يصف تمثيلية دينية من هذا الضراز في باپريميس :

« حينما تجنح الشمس للمغرب تنفرغ طائفة قليلة من الكهنة لتمثال الإله ، أما أكثر الكهنة فيقفون في مدخل المعبد ممسكين بعصى خشبية ، ويقف قبلهم رهط آخر من الرجال يوفون نذورهم وهم يزيدون على الألف عدداً ، ويمسكون بعصى خشبية مثل الآخرين . أما تمثال الإله فيوضع في مقصورة صغيرة من الخشب المذهب وينقل في ليلة العيد إلى موضع مقدس آخر . أما الفئة القليلة التي كانت قد تركت للعناية بالتمثال فتجر مركبة ذات أربع عجلات فوقها المقصورة وقد وضع فيها تمثال الإله . ويحاول الكهنة الواقفون بمدخل المعبد أن يمنعوا من الدخول فيخف الذين يوفون النذور لنجدة الإله ويضربونهم ، فيدافع هؤلاء عن أنفسهم وهنا تحمى معركة العصى ، وتشج رؤوس ويبدولى أن الكثيرين يموتون بجراحهم ولو أن المصريين ينفون أن أحداً يموت من جرائها(١) » .

(١) كانت في شرق الدلتا ولعلها كانت جزءاً من تل الفرما .

هذا وصف لمعركة ساقه هيرودوت^(١) قبل وصف يونانيس للمعركة بين دندرة ونبط بخمسة قرون أو تزيد ، كان المصريين « يقيمونها تكريماً للإله آريس^(٢) » فيما قالوا له . وقد استعملت فيها العصي وشجت روثوس ، وسالت دماء وكان يبدو للغرباء أن ممن يشتركون فيها من يموت بجراحه ، ولكن المصريين وهم أخبر بدينهم وطقوسهم نفوا هذا الوهم أو حاولوا أن ينفوه من ذهن هيرودوت .

كل هذا يحملنا على القول بأن مارآه من روى الخبر ليونانيس لم يعد أن يكون تمثيلية دينية اشتركت فيها جماهير غفيرة كالتى اشتركت فى الحفلة الدينية التى وصفها هيرودوت « وهم يزيدون عن الألف عدداً » واستعملوا فيها الحجارة والسيوف والسهام ، كما استعمل أهل پاپريميس العصي الخشبية ، ولعل من اشتركوا فى التمثيلية الدينية التى وصفها يونانيس كانوا يوفون بعض ما عليهم من ندور مثل إخوانهم الذين اشتركوا فى معركة پاپريميس . وشجت الروثوس هنا كما شجت هناك ، وسالت الدماء هنا كما سالت هناك ، وخيل هيرودوت أنه لا بد قد مات بعض من كانوا يوفون الندور بالاشتراك فى المعركة ولكن أهل البلاد طمأنوه ونفوا أن أحداً يموت من جرائها . أما يونانيس أطلق العنان لخياله بعد ما سمع من وصف المعركة فأنها بما ظن هيرودوت من أن معركته لا بد منتهية إليه من موت بعض من اشتركوا فيها ، وقد حمله كرهه للمصريين ونفوره من ديانتهم وتوغل نفوذها فى روما على تصوير ما صور من أكلهم للحم المصرى الصريع .

وهب لامل

(١) هيرودوت ٢ ، ٦٣

(٢) آريس يقابل الإله شو عند المصريين .